الوسطية

خصيصة الأمة الإسلامية

مظاهرها



مفهومها

الواجب تجاهها

د. محمد أبوالفتح البيانوني

واقعنا منها

دار اقرأ
للنشر والتوزيع

الوَسَطِيَّة خَصِيصَةُ الأُمَّةِ الإِسْلامِيَّة

مفهومها - مظاهرها - واقعنا منها - الواجب تجاهها

بسم الله الرحمن الرحيم

الوَسَطِيَّةُ خَصِيصَةُ الأُمَّةِ الإِسْلامِيَّة

مفهومها - مظاهرها - واقعنا منها - الواجب تجاهها

كتبها

د. محمد أبو الفتح البيانوني

دار اقرأ
للنشر و التوزيع

الطبعة الأولى

1436 هـ - 2015 م

رقم الإيداع : 324 / 2014

ردمك : ISBN : 978-99906-89-79-2

دار اقـــــرأ للنشر والتوزيع

الكويت : حولي - شارع المثني - ص . ب ١٩٣٧ حولي - الرمز البريدي : 32020

هاتف : ٢٢٦٥٥٣٤٠ - ٢٢٦٥٥٣٥٠ - فاكس : ٢٢٦٥٥٣٥٠ - نقال : ٩٧٥٧٩٢٧١

القاهرة ، مدينة نصر - أمام أرض المعارض الدولية - عمارات امتداد رمسيس (٢)

عمارة (١٦٨) شقة (٢)

تليفون : ٢٢٦٢٠٥٦٣ ٢٠٢++ - فاكس : ٢٢٦١٨٧١٠ ٢٠٢++ - محمول : ٢٠١٠١٥٣٢٧٦٧++

email: dariqraa@hotmail.com - website:www.dariqraa.com

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ
وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ﴾

(سورة البقرة : ١٤٣)

إهداء، وشكر، ودعاء

أهدي هذا البحث إلى كل متضايق من الإفراط والتفريط الذي وقع فيه كثير من أبناء هذه الأمة...

وإلى كل متطلع إلى الاعتدال والتوازن، وعامل على تحقيقهما ونشرهما...

وإلى كل ساع إلى إحياء خصيصة الوسطية وتحقيقها في حياة الأمة المسلمة، حيث لا تكتمل خيريَّتُها إلا بتحقيقها وتَفْعيلها...

شاكرا لكل من أعانني على إنجازه ونشره عامة...

سائلاً الله عز وجل أن يتقبله قبولاً حسناً، وأن يعم النفع به...

والحمد لله رب العالمين..

●●●●●

الوَسَطِيَّةُ خَصِيصَةُ الأُمَّةِ الإِسْلامِيَّة

الحمد لله رب العالمين، الذى جعل الوسطية خصيصية هذه الأمة الإسلامية، فقال سبحانه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾(١)، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، الذى أرسله الله عز وجل شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه، وسراجاً منيراً.. والقائل: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»(٢).

ورضي الله عن آل بيته الطيبين الطاهرين، وعن الصحابة الكرام أجمعين، وعن التابعين، وعمن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد: فقد خَصَّ الله عز وجل الأمة الإسلامية بخَصِيْصَتَيْن عظيمتين، فجعلها الأمة الداعية، والأمة الوسط، فقال سبحانه: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾(٣)، وقال أيضاً: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾(٤).

---

(١) سورة البقرة: ١٤٣

(٢) انظر: كنز الكمال في سنن الأقوال والأفعال - للمتقي الهندي (١٠/ ١٧٦).

(٣) سورة آل عمران: ١١٠

(٤) سورة البقرة: ١٤٣

وإن خصيصة «**الدعوة**» وخصيصة «**الوسطية**» خصيصتان متكاملتان متلازمتان، ذلك لأن من مقتضيات ومُتَطَلَّبات الأمة الداعية، التي حَمَّلها الله عز وجل أمانة الدعوة بعد خَتْم الرسالات وخَتْم النبوات، أن تكون أمةً وسطاً تستحق أن تكون شاهدة على الآخرين، كما كان رسولها ﷺ شاهداً عليها.. وإن من أهم صفات الشاهد: العَدالةَ المطلقة، والوَسطيَّةَ الكاملة.. خلافاً لأمم الرسالات السابقة التي أرسلت لأقوام مُعَيَّنِين، في أماكن خاصة، ومُدَّة مُحدَّدة طالَتْ أو قَصُرت.

وقد كثر الكلام عن الوسطية اليوم، وتناولها الكاتبون بأساليب مختلفة، ومن نواحي عديدة، لذلك سأجعل حديثي عنها محصوراً في عدة نقاط:

١ - حقيقة الوسطية ومفهومها.

٢ - مظاهرها في الشريعة الإسلامية.

٣ - واقعنا منها.

٤ - الواجب تجاهها.

٥ - الخاتمة.

سائلاً الله عز وجل السداد والرشاد في القول والعمل، والعون والتوفيق.

●●●●●

١ - حقيقة الوسطية ومفهومها

إذا كان المفهوم اللفظي واللغوي للوسطية يوحي بالتوسط بين أمرين اثنين، فيتبادر إلى ذهن السامع لمصطلح الوسطية أن المراد به: الوقوف في الوسط، أو النقطة الوسط في الشيء الواحد أو بين شيئين مختلفين.. فإن المفهوم الشرعي والدعوي لمصطلح الوسطية أعم من ذلك وأشمل، فهو «الاعتدال والتوازن» بين الأشياء. والشخص الوسط، هو: الشخص العَدْل المتوازن في أموره وتصرفاته.. ومن هنا جاء قوله سبحانه في سورة القلم: ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[١].

جاء في تفسير ابن كثير -رحمه الله - في معنى (**أوسطهم**): «أي: أعدلهم وخَيْرهم»، قاله ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد، والضحاك وقتادة رحمهم الله تعالى...

ولذلك كنت في كتاباتي عن خصائص الإسلام، أختار مصطلح (**التوازن والاعتدال**) عن مصطلح الوسطية، على الرغم من استخدام القرآن له، خشية أن يَلْتَبس على الناس فهمه اليوم، متأثرين بالمعنى اللغوي والعُرفي له..

فالتوازن والاعتدال هو: «تحقيق حالة انسجام وتناسق كامل بين أجزاء متفرقة، أو بين أجزاء متكاملة في الشيء الواحد».

---

(١) سورة القلم: ٢٨.

فَالجَسَد البشري مثلاً: جَسَدٌ متوازن ومعتدل، على الرغم من تفاوت حجم أعضائه.. والدَّمُ في جسم الإنسان: يوصف بالمتوازن، إذا كانت أجزاؤه ومُرَكَّبَاتُه معتدلة فيه، مهما كانت متفاوتة في نسبة وجودها فيه.. وهكذا[1].

ويوصف الإسلام بدين التوازن والوسطية، لأنه يحقق انسجاماً كاملاً بين تحقيق متطلبات الروح وبين متطلبات الجسد، وبين متطلبات الحياة الدنيا، وبين متطلبات الحياة الآخرة.. ليكون الإنسان سعيداً في دنياه وأخراه، ويكون صحيحاً وسَليماً في روحه وجسده..

وما أكثر النصوص الشرعية المؤكدة لهذا المعنى!!

فمن ذلك: حديث الرهط الثلاثة الذين جاؤوا يسألون عن عبادة النبي ﷺ: فقد روى البخاري بسنده عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - يقول:

«جَاءَ ثَلاثَةُ رَهْط إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النّبيّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالّوهَا فَقَالوا: وأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النّبيّ ﷺ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِه وَمَا تَأَخّرَ! قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمّا أَنَا فَإِنِي أُصَلّي اللّيْلَ أَبَدًا وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلا أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النّسَاءَ فَلا أَتَزَوّجُ أَبدًا. فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَيْهِمْ فَقَالَ:

---

(١) انظر: بحث «محاسن خصائص الإسلام» للباحث.

أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟ أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»[1].

فلم يقبل ﷺ مفهومهم عن العبادة وأنكره عليهم، على الرغم من توافر النية الصالحة لهم، وظهور رغبتهم الصادقة في الازدياد من الخير، واعتبر ذلك مغايراً لسُنَّته وشَريعته.

ومن ذلك أيضاً: حديث حنظلة - رضي الله عنه - الذى رواه مسلم في صحيحه عنه قال:

«لَقِيَنِي أَبو بَكْر، فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ؟ يَا حَنْظَلَةُ قَالَ: قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، قَالَ: سُبْحَانَ الله مَا تَقُولُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ، يُذَكِّرُنَا بالنَّار وَالجَنَّة، حَتَّى كَأَنا رَأْيُ عين، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْد رَسُول الله ﷺ، عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلادَ وَالضَّيْعَات، فَنَسينَا كَثيرًا، قَالَ أَبو بَكْر: فَوَالله إِنَّا لَنَلْقَى مثْلَ هَذَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبو بَكْر، حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُول الله ﷺ، قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، يَا رَسُولَ الله، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ «وَمَا ذَاكَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله نَكُونُ عنْدَكَ، تُذَكِّرُنَا بالنَّار وَالجَنَّة، حَتَّى كَأَنا رَأْيُ عين، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدك، عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلادَ وَالضَّيْعَات، نَسينَا كَثيرًا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي،

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٦٧٥)

وَفِي الذِّكْر، لَصَافَحَتْكُمُ المَلائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً» ثَلاثَ مَرَّاتٍ»[1]. فلم يقبل منه ﷺ هذا الحكم على هذه الحال، وبين له أنها حالة طبيعية بالنسبة للإنسان الذي لم يخلقه الله ملكاً، وإنما أراده بشراً، يَقْوى ويَضْعُف، يَنْسى ويذكر، يَرْقَى ويَنْزِل...

ومن ذلك أيضاً: رَبْطه ﷺ بين العلاقات الإنسانية الثلاث في وصيته البليغة الجامعة، والتي تعد من جوامع كلمه ﷺ.

فقد روى الترمذي وغيره عن أبي ذر ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**اتَّقِ اللَّهِ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعْ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ الناس بِخُلُقٍ حَسَنٍ**»[2].

فقد ربط ﷺ في وصيته هذه، كما ربط في كثير من وصاياه، بين ضرورة إحسان علاقة الإنسان بربه، وبين إحسان علاقة الإنسان بنفسه، وبين إحسان علاقة الإنسان بغيره، ربطاً كاملاً.

وجعل أساس إحسان العلاقة مع الله (**التقوى**)، وأساس إحسان علاقة الإنسان مع نفسه (**إتْبَاع السيِّئة الحسنة**)، وأساس إحسان العلاقة مع الآخرين (**حُسْنَ الخلق**).

فالمسلمُ الكامل العَدْل، والشخصيةُ المتوازنة في نظر الإسلام،

---

(١) رواه مسلم، رقم (٢٧٥٠).

(٢) سنن الترمذي، (١٩٥٨)، وقال عنه: حديث حسن صحيح.

هي التي جمعت بين إحسان العلاقات الثلاث كلها في وقت واحد، على وجه لا تطغى فيه علاقةٌ منها على أخرى، مهما تفاوتت هذه العلاقات فيما بينها من حيث قَدَاسَتُها وأَهمِّيتُها..

وما أكثر مثل هذه النصوص الشرعية المؤكدة لهذه الخصيصة من خصائص الإسلام!!

فالوسطية ليست دعوى تُدَّعَى، ولا أغنية تُردد، ولا أمنيةً تُتَمنى، وإنما هي منهج يُعتمد، وسلوك يُجَسّد...

فهناك كثير ممن يَدَّعي الوسطية، ويظن نفسه متمثلا لها، وملتزما بها، ولكنك قليلا ما تلحظها في منهج حياته، أو تلمسها في سلوكه الخاص أو العام!!

والوسطية في أجمل معانيها، وأسما أشكالها، تتمثل في الطابع العام لحياة الرسول ﷺ الذي أمرنا بالتأسي به...

وقيدته **(بالطابع العام)** له ﷺ لتخرج الخصوصيات النبوية، والحالات الخاصة، التي لا تصلح حالةً عامة للشخص العادي، ولا مطلبا عاماً من جميع أفراد الأمة، وذلك مثل:

١- قيامه ﷺ في الليل، وتهجده فيه -كما جاء في سورة المزمل-.

٢- صيامه ﷺ الأيام المتوالية دون أن يفطر، ووصاله بينها، ونهيه

الأمة عن الوصال في الصيام، وقوله كما جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما، قال: (**نهى رسول الله ﷺ عن الوصال، قالوا: إنك تواصل! قال: إني لست مثلكم، إني أُطعم وأسقى**)[1].

٣- طول قيامه ﷺ في صلاة النفل حتى تتورم قدماه، فعن عائشة رضي الله عنها،أن رسول الله ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقلت: لم تصنع هذا، وقد غُفِرَ لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر!؟ قال: «**أفلا أحب أن أكون عبدا شكورا**»[2].

إلى غير ذلك من حالات خاصة به ﷺ .

وهناك حالات خاصة قد تكون لبعض العلماء والصالحين، كما تكون لبعض الأنبياء والمرسلين، فكثيرا ما ورد عن بعضهم الإكثار من العبادات والصلوات وتلاوة القرآن على وجه لا يستطيعه كل إنسان...

فإن مثل هذه الحالات الخاصة المروية عن بعضهم، على الرغم من رُقيّها وجمالها، لا تصلح منهجا عاما لجميع الناس، ولا تكون مطلوبةً منهم...ولا سيما ما كان منها مستغربا[3].

ومن هنا عَدَّها بعض العلماء، حالات خاصة تعرض للإنسان،

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، (١٨٧٣)، وصحيح مسلم (١٩٠٩).
(٢) متفق عليه: صحيح البخاري (٤٥٦٠)، صحيح مسلم (٥١٥١).
(٣) انظر كتاب: إقامة الحجة على أن الإكثار من التعبد ليس بدعة، للعلامة اللكنوي.

ولا سيما لبعض العلماء والمجتهدين، فلا تنكر على أصحابها، ولا يتابعون عليها.

فلا يصح أن تسمى سنة مندوبة، ولا بدعة منكرة...وهذه هي الوسطية في النظرة إليها، والحكم عليها، والتعامل معها.

●●●●●

٢-مظاهر الوسطية والتوازن في الشريعة الإسلامية

بعد أن توضح المفهوم الشرعي والدعوي للوسطية، آن لنا أن نتلمس مظاهر هذه الوسطية في الشريعة الإسلامية، وذلك من عدة جوانب فيها، وهي: (الجانب العقدي، والعبادي، والتعاملي، والخلقي، وجانب القواعد الشرعية: الفقهية منها والدعوية).

أ-من مظاهر الوسطية والتوازن في الجانب العَقَدي:

١-قيامُ العقيدة الإسلامية على الجمع بين الإيمان بعالَم الغيب وعالَم الشهادة: يقول تعالى في وصف عباده المتَّقين: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾[1] فهم يؤمنون ويوقنون بعالم الآخرة كما يؤمنون بعالم الدنيا، فكما أنَّ في الدنيا أكلاً وشرباً، ولعباً، ولهواً، فهناك في الآخرة، بعثٌ ونشورٌ، وصراطٌ، وحسابٌ، وجنةٌ ونارٌ...

كما يحدثنا القرآن الكريم عن موقف الكافرين الذين كانوا يؤمنون بعالم المادة والشهادة فقط، فيقول سبحانه: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا

---

(١) سورة البقرة: ١ – ٥ .

مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ
(٣٣) وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ (٣٤) أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ
إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ (٣٥) ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا
تُوعَدُونَ (٣٦) إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ
(٣٧)﴾[1].

وفي المقارنة بين عقيدة المؤمنين الذين يؤمنون بعالم الغيب وعالم الشهادة، وبين عقيدة الكافرين الماديين، يقول الأستاذ محمد الغزالي -رحمه الله تعالى- : [إنا لا ندرك كنه الروح، ولا سر الحياة في المادة، ولا نَحْتفي بأوهام «الروحية الحديثة» واتصالاتها المزعومة، ولا نشرح هنا مذهباً معيناً عن علاقة الجسد بالروح، وإنما نحن نحدِّد تحديداً حاسماً طبيعة الحياة المؤمنة ومسلكها، وفق تعاليم الوحي وهداية المرسلين.

إن الإنسان -حسب تناول الدين له- كلٌ متماسك، وتزكيته المنشودة تشمل جوانب نفسه الظاهرة والباطنة وإنما الذي ننبه إليه: أن المؤمن لا يعيش لغرائزه الدنيا، ولا لحاجته العاجلة، وأنه واثق من لقاء الله بعد الموت ثِقتَه من وجوده في الدينا، وأن جسمه يمثل جزءاً من وجوده، لا الوجودَ كلَّه، وأن الله لم يتركه سدى، بل رسم له صراطاً مستقيماً، وأَمَره أن لا يحيد عنه.

لكن البشر من قديم احتجبوا وراء أسوار المادة الظاهرة، وظنوا

---

(١) سورة المؤمنون: ٣٣ - ٣٧ .

الوجود لا يَعْدُو هذه المحسوسات، وكذبوا المرسلين حين حدثوهم عن اليوم الآخر... ثم يقول:

إن الإيمان بالحاضر، والكفر بالغد، والإيمان بالجسد، والكفر بالروح، إن هذه المادية الصماء ليست وليدة التقدم العلمي الحديث كما يهرف البعض، إنها وليدة الجهل القديم، وهو جهل لم تنقشع ظلمته عن طائفة من الناس. وإنه لكذب عميق القاع، أن يقال: هذا الكفر وليد الارتقاء العلمي!!][1].

ويقول في مكان آخر: (إن الإنسان عقل وقلب، والظن بأن يقظة القلب ما تَتِمُّ إلا مع خمول الفكر وازدراء الدنيا خطأ فاحش. وكذلك الظن بأن سيادة العقل ما تتم إلا بتضحية الإيمان وإيحائه خطيئةٌ كبيرة...

ثم يقول: التَّدَيُّن الحقيقي: إيمان بالله العظيم، وشعور بالخلافة عنه في الأرض، وتطلع إلى السيادة التي اقتضتها هذه الخلافة، أعني السيادة على عناصر الكون وقواه. ولا تُتَاح هذه السيادة بداهة إلا لعقل ذكي جَوَّاب في الآفاق، مُتَطَلِّع إلى اقتحام المجاهل، راغبٍ في تطويعها لمشيئته.

التَّدَيُّن الحقيقي: ليس جَسداً مهزولاً من طول الجوع والسهر، ولكنه جسد مفعم بالقوة التي تسعفه على أداء الواجبات الثقال،

---

(١) كتاب «ركائز الإيمان بين العقل والقلب» - الطبعة الخامسة - ص ٥٩ - ٦٠.

مُفْعَم بالأشواق إلى متاع الحياة. فإن كان حلالاً طيباً ارتفقه، وابتهج به، وإن كان كَسْبَاً خَبيثاً ابتعد عنه وهو قادر عليه..)[1].

٢- قيام العقيدة الإسلامية على الجمع بين التسليم للأخبار الصحيحة والاستجابة للأوامر الثابتة، وبين التفكّر فيها، والتطلع إلى معرفة الحكمة منها:

ولا عجب من ذلك، لأنها أخبار العليم الخبير، وأوامر الرحيم الحكيم، ومن حق العقل البشري أن يتفكر فيها معتبراً، وأن يتطلع إلى التعرف على حكمتها مُسْتَبْصراً، كما أن من واجبه أن يستسلم لها، ويعتقد بصحتها مُنْقاداً...

إلى غير ذلك من مظاهر يقف عليها المتفكرون في طبيعة هذه العقيدة، ومنهج تقريرها في الأسلوب القرآني والنبوي...

●●●●●

(١) ص٢٤ من الكتاب نفسه، وإن كتاب «ركائز الإيمان بين العقل والقلب» كتاب مفيد مُمْتع، يُنْصح كل مسلم بقراءته والتمعن فيه، تتجلى فيه مظاهر الوسطية في أجمل حللها...

ب - من مظاهر الوسطية والتوازن في الجانب العبادي:

١-كون العبادات بمعناها الخاص وهي «الشعائر التعبدية»[١] لم تستغرق من وقت الإنسان في حياته إلا القليل، فشرعت على وجه يحقق حظ الإنسان منها، ويلبي احتياجاته الفطرية والتربوية من خلال ممارستها، ولا يُعَطّل من واجباته الحياتية الأخرى التي تقتضيها وظيفته في هذه الحياة...

فعلى الرغم من أن المقصد الأصلي من خَلق الإنسان هو تحقيق العبودية الكاملة لله عز وجل، كما بينه القرآن الكريم، فقال سبحانه:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[٢] أي: بالمعنى العام للعبادة، وهو: (**عمل العبد الإرادي الموافق لطلب المعبود**)[٣] ليكون العَبْد خاضعاً خضوعاً كلياً كاملاً لما يريده الله عز وجل الخالق منه.

فإن ما شرعه الله له من العبادات بالمعنى الخاص، وهو (**الشعائر التعبدية**) لا يستغرق كثيراً من وقته، فالصلوات الخمس المكتوبة عليه مثلا: لا تستغرق من أوقات المرء في يومه إلا ساعة تقريباً من نهاره وليله... والصيام المفروض عليه في رمضان، لا

---

(١) انظر كتاب «العبادة: دراسة منهجية شاملة في ضوء الكتاب والسنة» للباحث.
(٢) سورة الذاريات: ٥٦ .
(٣) المرجع السابق.

يستغرق إلا شهراً واحداً من أيام عامه... مع فتح الباب للاستزادة منها نفلاً وتطوعاً...

وما ذاك إلا ليحقق للإنسان التوزان والوسطية في أداء واجباته التي أوجبها الله عليه، ووظيفته التي خلق من أجلها من استخلاف في الأرض، وطلب عمرانها على منهج الله ورسوله... والله العلي العظيم، والحكيم العليم أدرى باحتياجات الإنسان وقدراته... ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾[1].

وإن حديث مشروعية افتراض الصلوات على المسلمين، التي كانت في أصلها خمسين صلاة، فَخُفِّفت إلى خمس صلوات، كما أن الآيات القرآنية التي افترض فيها الصيام على المسلمين، وضَّحَت أن الأيام المفروض صيامها هي أيام معدودات، وأن الله يريد بذلك اليسر ولا يريد العسر... كل هذا يؤكد هذه الحكمة الربانية ويشير إليها...

٢-جَعْلُ العبادات الإسلامية تتنوع أحكامها إلى فروض وسُنَن ونوافل، لتحقق حاجة الإنسان إليها، وتدفع الحرج والمشقة عن صاحبها...

فإن هذا التنوع في أحكامها يفتح الباب واسعاً أمام التسابق إليها، والتنافس فيها، ليتمَيَّز قويُّ الإيمان عن ضعيفه، فشتان بين

---

(١) سورة الملك: ١٤

مَنْ يكتفي بالمفروض، رغبة في الثواب، ورهبةً من العقاب، وبين مَنْ يستزيد منها بحسب إمكاناته ونشاطه، فيتقرب بنفلها إلى الله، ويَتَحبّبُ بها إلى مولاه!!

فقد جاء في الحديث الشريف الذي رواه البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى قال: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْب، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ**»[1].

٣-نَهْيُ الشارع عن التَّنَطُّع والغلو في العبادات، ودَعوتُه إلى الاقتصاد فيها؛ مع ترغيبه في الازدياد منها:

فقد جاء في الحديث عن عائشة - رضي الله عنها -، قالت: دخل علي رسول الله ﷺ، وعندي امرأة، فقال: «**من هذه؟**» فقلت: امرأة لاتنام تصلي، قال: «**عليكم من العمل ما تطيقون، فوالله لا يمل الله حتى تملوا، وكان أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه**»[2].

وجاء في حديث البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «**إن هذا الدين يُسرٌ، ولن يُشَادَّ الدين أحدٌ**

(١) رواه البخاري، حديث رقم (٦٠٢١).
(٢) صحيح مسلم (١٣٤٨).

إلا غَلبه. فسدِّدوا وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغَدْوة والرَّوْحة وشيءٍ من الدلجة» والدُّلْجة: آخر الليل[1].

٤ - توضيح الرسول ﷺ أن أفضل الصلاة والصيام صلاة داود عليه السلام وصيامه.

ففي رواية للبخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**أحب الصيام إلى الله صيام داود، كان يصوم يوما ويفطر يوما، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود، كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه**»[2].

كما جاء في الصحيحين عنه ﷺ قوله: «**أُخبرَ رَسُولُ اللَّه ﷺ أَنِّي أَقُولُ: لأَصُومَنَّ النَّهَارَ وَلأَقُومَنَّ اللَّيْلَ مَا عشْتُ لَهُ. فَقُلْتُ لَهُ: قَدْ قُلْتُ بأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، قَالَ: «فَإِنَّكَ لا تَسْتَطِيعُ ذَلكَ، فَصُمْ وَأَفْطرْ، وَنَمْ، وَصُمْ منَ الشَّهْر ثَلاثَةَ أَيَّام، فَإِنَّ الْحَسَنَةَ بعَشْر أَمْثَالهَا وَذَلكَ مثْلُ صيَام الدَّهْر». قَالَ: فَقُلْتُ: إِنِّي أُطيقُ أَفْضَلَ منْ ذَلكَ، قَالَ: «فَصُمْ يَوْمًا وَأَفْطرْ يَوْمًا، وَذَلكَ صَوْمُ دَاوُدَ، وَهُوَ أَعْدَلُ الصِّيَام». قَالَ: فَقُلْتُ: إِنِّي أُطيقُ أَفْضَلَ منْ ذَلكَ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «لا أَفْضَلَ منْ ذَلكَ»**[3].

وبهذا التوجيه النبوي الصريح تبرز خصيصة الوسطية بروزاً كاملاً في منهج العبادة.

---

(١) صحيح البخاري: (١٧٧).

(٢) صحيح البخاري(٣٢٥٤).

(٣) صحيح البخاري: (١٨٤٠، ٣١٦٥).

٥ - مجيءُ بعض أحكام العبادات مُعَلَّلاً واضح الحكمة من مشروعيته، وبعضها غير مُعَلَّل، قد لا يهتدي العبد إلى حكمته، ليحقق بذلك التوازن والوسطية بين الاستسلام للأمر والنهي، وبين التعرف على حكمة المشرع من تشريعاته.

فإذا كانت بعض أعمال العبادات في الصلاة والحج واضحة العلة والحكمة، فإن هناك أحكاماً وأعمالاً قد لا يهتدي العقل إلى حكمتها... كعدد ركعات الصلوات الخمس، واختلاف عددها من صلاة إلى أخرى، واختلاف عدد السجدات في الصلاة الواحدة عن عدد الركعات فيها... وتعدد أشواط الطواف والسعي، وعدد حصيات رمي الجمرات في الحج، وتوقيت الخروج إلى منى وعرفات، وتوقيت الإفاضة منها، والمبيت في مزدلفة وغيرها...

وبهذا يتحقق للعقل البشري، التوازن بين الاستسلام للأمر والنهي، وبين التعرف والتفهم لما أمكنه تفهمه منها... تحقيقاً للعبودية الصادقة لله عز وجل... إلى غير ذلك من مظاهر التوازن والوسطية في الجانب العبادي.

•••••

ج- من مظاهر الوسطية والتوازن في الجانب التعاملي:

١-الأمر بالتعامل مع الناس عامة، بالعَدْل والإحسان، مهما اختلفت عقائدهم ومذاهبهم وآراؤهم، والنهي عن التعامل معهم بالبَغْي والظلم: يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾[1].

ويقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾[2].

٢-الأمر بالتعامل مع الوالدين بالحسنى، حتى لو كانا مخالفين في الدين، أو كانا داعِيَيْن لغير الدين الحق: يقول تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾[3].

ويقول أيضا: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ

(١) سورة النحل: ٩٠.
(٢) سورة المائدة: ٨.
(٣) سورة العنكبوت: ٨.

﴿أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥)﴾[١].

فقد نزلت هذه الآيات في سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه -، حيث قالت له أمه لما أسلم - وكانت على الشرك -: «**أليس الله قد أمرك بالبر؟ والله لا أطعم طعاماً، ولا أشرب شراباً حتى أموت، أو تكفر**» فنزلت الآية[٢].

٣-الأمر بالتعامل بالحسنى مع جميع الأقارب، والجيران، واليتامى، والمساكين مهما اختلفت أديانهم، فقال سبحانه: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا (٣٦)﴾[٣].

وقد جاء في الحديث الشريف المتفق عليه: «عن ابن عمر وعائشة رضي الله عنهما، قالا: قال رسول الله ﷺ: «**مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ**»[٤].

---

(١) سورة لقمان: ١٥ .

(٢) انظر: «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٦/ ٤٨) و (٦/ ١١٥)، تحقيق: أ.د. حكمت بن بشير ابن ياسين - الطبعة الأولى - نشر (دار ابن الجوزي) - والحديث رواه الترمذي (٣١٩٥)، وقال عنه: حسن صحيح.

(٣) سورة النساء: ٣٦ .

(٤) متفق عليه: صحيح البخاري (٥٦٧٦)، وصحيح مسلم (٤٨٦٤).

فلم يأتِ في الآية الكريمة، ولا في الحديث الشريف تقييد من ذكر بصفة إسلام أو غيره... بل جاءت النصوص مطلقة، وجاءت نصوص أخرى مؤكدة هذا الإطلاق.

فعن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، قالت: **«قَدِمَت عليّ أمّي وهي مشركة في عهد رَسُول اللّه ﷺ فاستفتيت رَسُول اللّه ﷺ قلت: قَدِمَت عليّ أمي وهي راغبة أفَأَصِل أُمي قال: نعم صِلي أمك»**(١).

وعن عائشة - رضى الله عنها - قالت: قلت : يا رسول الله: إن لي جارين، فإلى أيهما أهدي؟ قال: **«إلى أقربهما منك باباً»**(٢).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنه ذُبِحَت له شاة فجعل يقول لغلامه: أَهَدَيتَ لجارنا اليهودي، أهديتَ لجارنا اليهودي؟؟، سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ما زال جبريل يوصينى بالجار، حتى ظننتُ أنه سيورّثه»**(٣).

٤-عدم اعتبار مُجَرَّدَ الاختلاف بين الناس في الدين والمذهب مبرراً للإساءة إليهم في التعامل، وعدم الإحسان إليهم:

فقال سبحانه: ﴿ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم

---

(١) متفق عليه: صحيح البخاري (٢٤٩٨)، وصحيح مسلم (١٧٣٣).
(٢) رواه البخاري، رقم (٢٠٩٩).
(٣) الأدب المفرد للبخاري (٥٧٦)، والحديث متفق عليه: صحيح البخاري (٥٦٧٦)، وصحيح مسلم (٤٨٦٤).

مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ
لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ
وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ
فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾﴾[1].

إلى غير ذلك من مظاهر للعَدْل والتوازن في علاقات التعامل بين الناس.

•••••

(١) سورة الممتحنة: ٧ - ٩.

د- من مظاهر الوسطية والتوازن في الجانب الخلقي:

١- النص على أمهات الأخلاق الحسنة، والأمر بالالتزام بها، مع النص في الوقت نفسه على أمهات الأخلاق السيئة، والنهي عن الاتصاف بها:

فقد نَص الإسلام على استحسان خُلق العَدْل والإحسان، وأمر بالتحلِّي بهما، وذم خلق البغي والظلم ونهى عن الاتصاف بهما، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾[١].

كما نص على استحسان خلق الصدق، وأمر بالتحلي به، ونص على استقباح الكذب، ونهى عن الاتصاف به، فقال سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾[٢] وقال: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾[٣].

وجاء في الحديث الشريف: «**دَعْ ما يَرِيْبُك إلى ما لا يَرِيْبُك؛ فإن الصدق طُمأنينة، وإن الكَذِبَ رِيْبَة**»[٤]، وجاء في الحديث

(١) سورة النحل: ٩٠ .
(٢) سورة التوبة: ١١٩ .
(٣) سورة النحل: ١٠٥ .
(٤) رواه الترمذي (٢٥٠٢)، وقال عنه: وهذا حديث صحيح.

المتفق عليه: عن ابن مسعود - رضي الله عنه - ، عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليَصْدق حتى يكتب عند الله صدِّيقاً؛ وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً**»[1].

٢ - عَدُّه من الأخلاق الحسنة أحياناً الخلق المعيَّن وضدّه في وقت واحد، شريطة أن يوضع كل خُلُق في محله المناسب له. فذكر الشدِّة واللين، وذَكر العزَّة والتواضع في مقام المدح في وقت واحد، وهكذا...

فجاء في وصف النبي ﷺ والمؤمنين معه: بالشدة على الكافرين، وبالرحمة على المؤمنين في آية واحدة، فقال سبحانه: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ﴾[2].

وقال سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾[3].

٣-جَعْلُه من صفات عباد الرحمن التوسط في الإنفاق بين

---

(١) متفق عليه: صحيح البخاري (٥٧٤٩)، وصحيح مسلم (٤٨٢٨).

(٢) سورة الفتح: ٢٩.

(٣) سورة المائدة: ٥٤.

التقتير، وبين الإسراف: فقال سبحانه في سياق تعداد صفات عباد الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾[1].

٤-وَصْفُه خلق النبي ﷺ بالعظمة، لِمَا اجتمع فيه ﷺ من مكارم الأخلاق، وتوازنها في شخصيته في وقت واحد:

فقد قال في وصف خلقه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾[2]، ولم يقل: لعلى خلق كريم، وقد كان من عادة العرب أن تصف صاحب الأخلاق الحسنة بالخلق الكريم، فوصفه بالعظمة لما اجتمع فيه ﷺ من كمال الأخلاق وتوازنها في وقت واحد.

كما جاء في وصفه ووصف المؤمنين بأنهم: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[3]، وكما وصف نفسه ﷺ فقال: «**أنا محمد، وأحمد، والمقفي، ونبي الرحمة، ونبي الملحمة**»[4]، فكما أنه جاء رحمة مهداة للناس، جاء بمشروعية الجهاد والقتال في سبيل الله.

ولعل من مظاهر عظمة خلقه ﷺ وتوزان أخلاقه فيه، أنه عندما جاءه خبر وفاة ولده إبراهيم، حزن عليه، ودمعت عيناه، وأعلن رضاءه عن قضاء الله وقدره في وقت واحد.

---

(١) سورة الفرقان: ٦٧.

(٢) سورة القلم: ٤.

(٣) سورة الفتح: ٢٩.

(٤) المعجم الصغير للطبراني، باب من اسمه إبراهيم، (٢١٦).

جاء في صحيح البخاري عن ثابت عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: «دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّه، صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى أَبِي سَيْفٍ الْقَيْنِ، وَكَانَ ظِئْرًا لإِبْرَاهِيمَ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِبْرَاهِيمَ فَقَبَّلَهُ وَشَمَّهُ، ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلك وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بنَفْسه، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَذْرِفَان، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رضي الله عنه: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّه! فَقَالَ: يَابْنَ عَوْفٍ، إِنَّهَا رَحْمَةٌ. ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى، فَقَالَ: إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلا نَقُولُ إِلا مَا يُرْضِي رَبَّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ»[1].

فقد جمع ﷺ في هذا الموقف بين الحزن على الغلام، والبكاء عليه، وبين الرضاء عن قدر الله وقضائه..

ولما أشكلت على بعض الناس هذه الحال، عندما قارنوها بحال بعض الصالحين الذين روي عنهم أنهم لما أخبروا بوفاة ابنهم، ضحكوا، وحمدوا الله عز وجل على ذلك، فظن بعضهم أن هذه الحال أرقى وأسما من حال النبي ﷺ !!

راجعوا بذلك الإمام ابن تيمية - رحمه الله - مُتَعَجِّبين مُستغربين، فقال لهم - رحمه الله -: «هَدْي نبينا ﷺ أكمل من هدي هذا العارف، فإنه ﷺ أعطى العبودية حقها، فاتسع قلبه للرضا عن الله، ورحمة الولد والرقة عليه، فحمد الله ورضي

(١) صحيح البخاري: رقم (١٢٤١).

عنه في قضائه، وبكى رحمة ورقة، فحملته الرحمة على البكاء، وعبوديته لله ومحبته له على الرضا والحمد، وهذا العارف ضاق قلبه عن اجتماع الأمرين، ولم يتسع بطانه لشهودهما والقيام بهما، فشغلته عبودية الرضاء عن عبودية الرحمة والرقة، والله تعالى أعلم»[1].

إلى غير ذلك من مظاهر الوسطية والتوازن في جانب الأخلاق...

●●●●●

(١) تسلية أهل المصائب، لأبي عبدالله محمد بن محمد بن محمد المنبجي الحنبلي، وقد ذكره في الباب العشرين بعنوان: الرضا بالمصيبة، (١/ ١٥٧).

هـ من مظاهر الوسطية والتوازن في جانب القواعد الشرعية (الفقهية منها والدعوية):

فإنه كما عكست لنا النصوص الشرعية المتنوعة في الكتاب والسنة خصيصة الوسطية في الجوانب السابقة الذكر، نقف الآن على مظاهر هذه الوسطية في جانب القواعد الشرعية التي قعّدها العلماء من خلال مجموعة النصوص والأدلة الشرعية، سواء في الجانب الأصولي، أو الفقهي، أو الجانب الدعوي...

فمن تلك القواعد الشرعية:

أ - من القواعد الأصولية والفقهية:

١ - قاعدة: (**المشقة تجلب التيسير**)[١].

٢ - قاعدة: (**الضرورات تبيح المحظورات**)[٢].

٣ - قاعدة: (**يتحمل الضرر الخاص، لدفع الضرر العام**)[٣].

٤ - قاعدة: (**الضرر الأشد يزال بالضرر الأخف**)[٤].

---

(١) المادة (١٧) من مجلة الأحكام العدلية، انظر شرح القواعد الفقهية لأحمد الزرقا ص ١٥٧.

(٢) المادة (٢١) من مجلة الأحكام العدلية، انظر شرح القواعد الفقهية لأحمد الزرقا ص ١٨٥.

(٣) المادة (٢٦) من مجلة الأحكام العدلية، انظر شرح القواعد الفقهية لأحمد الزرقا ص ١٩٧.

(٤) المادة (٢٧) من مجلة الأحكام العدلية، انظر شرح القواعد الفقهية لأحمد الزرقا ص ١٩٩.

٥ - قاعدة: (إذا تعارضت مفسدتان، روعي أعظمهما ضررا بارتكاب أخفهما)[١].

٦ - قاعدة: (يختار أهون الشرين)[٢].

٧ - قاعدة: (درء المفاسد أولى من جلب المصالح)[٣].

٨ - قاعدة: (لاُينكر المختلفُ فيه)[٤].

٩ - قاعدة: (الخروج عن الخلاف مطلوب)[٥].

١٠ - قاعدة: (الوجوب يتعلق بالاستطاعة، فلا واجبَ مع العجز، ولا مُحرّمَ مع ضرورة)[٦].

إلى غير ذلك من قواعد أصولية وفقهية كثيرة تؤكد خصيصة الوسطية، وتبرز الاعتدال والتوازن في الأحكام الشرعية، ولا أظنه يخفى على المتأمل فيها مظهر التوازن والاعتدال، وما تحققه من الوسطية في الأحكام الشرعية المبنية عليها...

---

(١) المادة (٢٨) من مجلة الأحكام العدلية، انظر شرح القواعد الفقهية لأحمد الزرقا ص ٢٠١.

(٢) المادة (٢٩) من مجلة الأحكام العدلية، انظر شرح القواعد الفقهية لأحمد الزرقا ص ٢٠٣.

(٣) المادة (٣٠) من مجلة الأحكام العدلية، انظر شرح القواعد الفقهية لأحمد الزرقا ص ٢٠٥.

(٤) انظر شرح مسلم للنووي(٢ \ ٢٣)، والمنثور في القواعد للزركشي (٢ \ ١٤٠)، ودراسات في الاختلافات العلمية للباحث ص ٧٩.

(٥) انظر الاعتصام للشاطبي (١ \ ١٦١)، ودراسات في الاختلافات العلمية للباحث ص ٧٩.

(٦) انظر المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ ابن سعدي (م١ \ ٣٢).

ب - من القواعد الدعوية:

١ - قول علي-رضي الله عنه- (**كـدَرُ الجماعة، ولا صفاء الفرقة**)[١]. ولا يخفى في كلام علي -رضي الله عنه- تأكيده على أهمية الوقوف مع الجماعة، مهما اختلفت الاجتهادات والآراء، وتفضيلها على الانفصال عنها، والافتراق بسبب الاختلاف في الرأي، فإن الصفاء الذي يشعر به المخالف المنفصل عن الجماعة بسبب تمسكه برأيه، مَغلوبٌ بالمصلحة العامة التي تتحقق بالتنازل عن الرأي عند الاختلاف في قضية مصيرية هامة، مهما أحدث هذا التنازل من كدر في نفوس أصحابه، فالمصلحة العامة مقدمة على الخاصة...، ولعل هذا القول صدر عنه في آخر أيامه -رضي الله عنه-.

ولا أظنُّ أحداً أخبر من الإمام علي -رضي الله عنه- في مثل هذه الأمور، حيث لاقى عمليا من سلبيات الافتراق والاختلاف مع معاوية -رضي الله عنه- ما لاقى، حتى جاء ولده الإمام الحسن -رضي الله عنه- متداركا الأمر، ودفع كثيرا من تلك السلبيات بتنازله عن الخلافة لمعاوية -رضي الله عنهم جميعا-، وحقق بذلك بشارة رسول الله ﷺ بموقفه الجامع، حيث قال: (**إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**)[٢]، وإذا

---

(١) هذا القول ذكره الإمام الكاساني كحديث شريف، وساقه بلفظ مقارب، ولم أقف عليه في كتب الحديث، والمشهور أنه من قول علي-رضي الله عنه-. انظر بدائع الصنائع(٢ \٥٨٧).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الصلح، (٢٥٥٧).

كان في اختلاف علي مع معاوية -رضي الله عنهما- رخصة، فإن العزيمة والقدوة في موقف الحسن -رضي الله عنه-.

٢ - قول عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه - **(الجماعة أن تكون مع الحق ولو كنت وحدك)**[١] مع قوله **(مارآه المسلمون حسنا فهو عند الله حَسن)**[٢]. وما أجمل هذا التفريق من الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- بين الموقف من الاختلاف في المسائل القطعية الحقة، التي تعرف بالوحي الصحيح الصريح، وبين الموقف من الاختلاف في المسائل الظنية الاجتهادية، التي تختلف فيها الآراء!! فلا مجال للتنازل عن الحق القطعي الصريح رغبة في تحقيق الجماعة، فالمتمسك بهذا الحق هو الجماعة المأمور بالتزامها، أما فيما دون ذلك من ظنيات واجتهادات، فإن ما يراه أهل العقل والرأي من المسلمين حسنا، فهو الحسن عند الله، والمطلوب التمسك به، وما يرونه باطلا وقبيحا، فهو القبيح عند الله، والمطلوب تركه واجتنابه.

وقد خفي على كثير من الناس فهم هذين القولين، وغفلوا عن دلالة لفظة **(الحق)** المشيرة إلى الحق القاطع في المقولة الأولى، وعن دلالة لفظة **(ما رأوه)** المشيرة إلى الرأي والاجتهاد في المقولة

---

(١) انظر الحوادث والبدع لأبي شامة ص٢٢، وانظر شرح السنة للالكائي، (١\١٠٨-١٠٩)، نقلا عن أهل السنة والجماعة، معالم الانطلاقة الكبرى لمحمد عبدالهادي المصري ص٤٨.

(٢) أخرجه الإمام أحمد والبزار والطيالسي والطبراني وأبو نعيم من حديث أبي وائل عن ابن مسعود، قال السخاوي في المقاصد الحسنة ص ٣٦٧: (هو موقوف حسن).

الثانية!! فخلط بعضهم بين الأمرين، واستدلوا بهذين القولين واضعين لهما في غير محلهما!!

٣ - قول عمر بن عبدالعزيز -رحمه الله- لولده عبدالملك: **(لاتعجل يابني، فإن الله ذم الخمر في القرآن مرتين، وحرمها في الثالثة، وإني أخاف أن أحمل الناس على الحق جملة، فيدفعوه جملة، ويكون من ذا فتنة)**[١]. وهذه لفتة صريحة منه - رضي الله عنه- إلى أهمية خصيصة التدرج في الدعوة إلى الله، ودعوة إلى العمل بالحكمة المأمور بها شرعا، وتطبيق عملي للموازنة بين المصالح وبين المفاسد...

٤ - قول الأئمة المجتهدين **(قولي صواب ويحتمل الخطأ، وقول غيري خطأ ويحتمل الصواب)**[٢]. وذلك لأن الأقوال العلمية كلها اجتهادات بشرية تحتمل الصواب كما تحتمل الخطأ، واعتماد المجتهد على قوله، وفتواه به، قائم على غلبة الظن عنده، الذي عامله الشارع معاملة القطع واليقين في وجوب العمل به... خلافا لما يقوله المتعصبة بلسان حالهم غالبا، أو بقالهم أحياناً: **(قولي صواب، وحق مطلق لا يحتمل الخطأ، وقول غيري خطأ، وباطل محض لا يحتمل الصواب)**!! منطلقين في هذا من منطلق التعصب للنفس، أو للمذهب، ومن إعجاب كل ذي رأي برأيه!!.

(١) انظر الموافقات للشاطبي (٢ \٩٣-٩٤) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٩ \٢٨١).
(٢) انظر الأشباه والنظائر لابن نجيم ص٣٨١.

٥ - قول الإمام سفيان الثوري -رحمه الله- **(إذا رأيت الرجل يعمل العمل الذي اختلف فيه، وأنت ترى غيره، فلا تنهه)**[١].

٦ - قول الإمام سفيان الثوري -رحمه الله- **(ما اختلف فيه الفقهاء، فلا أمنع أحداً من إخواني أن يأخذ به)**[٢]. فهذان القولان لهذا الإمام يعكسان الموقف المتوازن من أي خلاف اجتهادي علمي، ويوضحان الموقف الواجب من أي اختلاف علمي مقبول، ويقضيان على العصبية المذهبية الذميمة، وعلى الإعجاب بالرأي المهلك، الذي حذر منه الرسول ﷺ تحذيراً شديداً بقوله: «**بَل ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا، وَهَوًى مُتَّبَعًا، وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، فَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ، وَدَعِ الْعَوَامَّ...**»[٣][٤].

٧ - قول الشيخ رشيد رضا -رحمه الله- نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه[٥]. إذ تعكس هذه القاعدة الوسطية في التعامل مع المخالفين في الرأي والاجتهاد،

---

(١) انظر الحلية لأبي نعيم (٦ \٣٦٨) ودراسات في الاختلافات العلمية ص٩٨. وكتاب «الإمام سفيان الثوري: حياته العلمية والعملية» للباحث.

(٢) انظر الفقيه والمتفقه للبغدادي (٢ \٦٩)، ودراسات في الاختلافات العلمية للباحث، وكتاب «الإمام سفيان الثوري: حياته العلمية والعملية» للباحث.

(٣) سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، حديث رقم ٢٩٨٤، وقال عنه الترمذي: حديث حسن غريب.

(٤) انظر كتاب (دراسات في الاختلافات العلمية)، للباحث.

(٥) هذه القاعدة مروية عن الشيخ رشيد رضا -رحمه الله- وتداولها الدعاة من بعده.

فلا يمنع الاختلاف من التعاون على المتفق عليه، كما تدعو إلى الإعذار للمخالف ما دام خلافهُ ضمن دائرة الاختلاف المقبول، والاختلاف المقبول هو: ما كان في فهم دليل ظني، أو في مسألة فرعية، والخلاف المردود هو ما كان أمام الدليل القطعي البين، أو في مسألة أصلية كبرى من أصول الدين.

وكثيرا ما فهم بعضهم هذه القاعدة خطأً، فلم ينتبهوا إلى القيد الملحوظ في الاختلاف الذي يُعذَر صاحبه فيه، وذهبوا إلى نقدها وردها بسبب ذلك!! مما جعلني أقيدها في كتاباتي عنها، وأجعله ملفوظاً، فأقول: «..ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه، مما يجوز في مثله الاختلاف».

كما غفل آخرون عنه فاستشهدوا بها في غير محلها، فعذروا من لا يُعذر في خلافه!! ولا أدري كيف يقبل العقل المسلم أن يُعذر كافرٌ بكفره، أو ضالٌ بضلاله!!!.

فلا يصح أن يُجعل الاختلاف عقبة أمام التعاون على المتفق عليه، كما لا يصح أن يعمم إعذار المخالف ليشمل دائرتي الكفر والضلال...

ولا يصح أن يفهم من طلب الإعذار للمخالف طلبُ السكوت عن خطئه، وعدم مناقشته فيه، وبيان خطئه.. وإنما يلزم من الإعذار فقط عَدَمُ الإنكار على صاحبه إذا بقي بعد المناقشة له مُصِرّاً على

التمسك برأيه واجتهاده... وهذه هي الوسطية المطلوبة في التعامل مع مثل هذه الاختلافات[١]...

٨ - قول الباحث: **(اجتماعنا على خطأ اجتهادي في نظر بعضنا، خير من افتراقنا على صواب في نظر الآخرين)**. ولعل هذا القول يؤكد ويوضح معنى القول السابق لعلي -رضي الله عنه- في القاعدة الأولى.

٩ - قول الباحث: **(على الداعية أن يقدم ما يحسن (أي: يتقن)، وأن يدع مالا يحسن لمن يحسن، وأن يُعِدَّ نفسه لإحسان مالا يحسن)**. وكثيرا ما أصيب العمل الإسلامي اليوم بإقدام الدعاة على فعل ما لا يحسنون، فيسيئون من حيث يريدون الإحسان، غافلين عن توجيه رسول الله ﷺ إلى الاتقان في العمل والإحسان في كل شيء، فقد جاء في الحديث الشريف: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ...**»[٢]. وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله يحب من أحدكم إذا عمل عملاً أن يتقنه**»[٣]، فترى بعضهم يُقدِم بحسن نية على فعل كل شيء، وإن كان لا يُحسِنُه فينعكس خطؤه وتقصيره على دعوته وإسلامه!! ويَغفُلُ عن أن إقدامه على فعل ما لا يحسن يُعَدُّ تجاوزا لحده، كما أن إحجامه عن أداء ما

---

(١) انظر كتاب (دراسات في الاختلافات العلمية)، للباحث.

(٢) صحيح مسلم، (٣٦١٥).

(٣) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد»، (٤/ ٩٨): «رواه أبو يعلى، وفيه مصعب ابن ثابت، وثقه ابن حبان، وضعفه جماعة»، وهناك من صححه لشواهده.

يحسنه وتكاسله عنه، يُعَدُّ تقصيرا، وأنه سَيُسأل عن تجاوزاته كما يُسأل عن تقصيره!!

وإن على الذي يَطْمَح إلى تقديم المزيد، ويتطلع إلى تقديم الأكثر، أن يُعِدَّ نفسه لإحسان ما لا يحسنه، حتى يؤجر عندئذ على عمله، ويسلم من المسؤولية والعقاب...

ولكم عانت الدعوة ولا تزال تعاني اليوم، من تقصير المقصرين، ومن تجاوزات المتجاوزين!!.

١٠ - قول الباحث: (**العمل الدعوي الجماعي يَفضُلُ العمل الفردي، كما تفضل صلاة الجماعة صلاة الفرد**). فلا إنكار للعمل الفردي إذا كان صالحاً، كما أنه لا إنكار لفضل العمل الجماعي على العمل الفردي، لأنه أبعد عن الخطأ، وأقرب إلى الصواب، لأن يد الله على الجماعة، وقد جاء في الحديث الشريف: (**عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة، فليلزم الجماعة**).[(١) (٢)]

إلى غير ذلك من قواعد دعوية ،تؤكد خصيصة الوسطية، وتبرز التوازن والاعتدال في المناهج والأساليب الدعوية.

●●●●●

---

(١) جزء من حديث شريف رواه الإمام الترمذي في سننه، رقم (٢٢٥٤)، وقال عنه: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٢) انظر كتاب (وحدة العمل الإسلامي بين الأمل والواقع)، للباحث.

٣- واقعنا من خصيصة الوسطية:

آن لنا بعد أن عرضنا بعض مظاهر الوسطية في جوانب عديدة من شريعتنا، أن نقف وقفة تأمل ومحاسبة، لنرى واقعنا منها، ونتلمس مظاهرها في سلوكنا.

ولعل الملاحظ والمتتبّع لواقع كثير من المسلمين اليوم من هذه الوسطية المطلوبة، وأحوالهم معها، تبرز له مظاهر مخالفتهم لها، ومجانبتهم لمنهجها في مواقف عديدة، علمية وعملية، نعرض هنا بعضها.

فمن المواقف العلمية والعملية المخالفة للوسطية:

١ - رفض أي جديد في حياتنا، واجتهادات علمائنا، ووصفه بأنه بدعة، والحكم عليه بأنه ضلالة، اعتمادا على ظاهر الحديث الشريف القائل: «**كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار**»[١].

مع أن الضابط في ذلك الحديث الآخر والمقيد لذلك الحديث المطلق، والقائل: «**من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد**»[٢].

ومن هنا قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله تعالى- في الفتح: **(وهذا الحديث معدود من أصول الإسلام، وقاعدة من قواعده،**

---

(١) هذا جزء من حديث صحيح رواه ابن خزيمة في صحيحه، كتاب الجمعة، باب صفة خطبة النبي ﷺ، (١٦٧٦).

(٢) صحيح البخاري(٢٥٧١)،صحيح مسلم(٣٣٢٨)، واللفظ لمسلم.

فإن معناه: من اخترع من الدين ما لا يشهد له أصل من أصوله، فلا يلتفت إليه)[1].

ولكن بعض العلماء يتمسك في هذه المسألة بنصوص دون نصوص، أو يعتمد على نصوص مطلقة دون مقيدة، أو على نصوص عامة دون خاصة... كما حدث في الموقف من تقسيم البدعة إلى حسنة وسيئة في تاريخ علمائنا.

فذهب جمهورهم إلى تقسيم البدعة إلى قسمين: **(حسنة وسيئة)**، وذهب آخرون إلى عدم تقسيمها، كالإمام الشاطبي، والإمام ابن تيمية - رحمهما الله -.

وعلى الرغم من بعض إيجابيات القول بعدم تقسيم البدعة، وما يفيده هذا القول في جانب الالتزام بالكتاب والسنة، والحَضّ على التمسك بهما، فإني أرى رجحان منهج جمهور العلماء من السلف والخلف في تقسيمها، والذي عبر عنه الإمام الشافعي -رحمه الله تعالى- تعبيرا دقيقا-وهو الإمام الحجة في الفقه واللغة- فقال: **(البدعة بدعتان: بدعة محمودة، وبدعة مذمومة، فما وافق السنة فهو محمود، وما خالف السنة فهو مذموم)**، واحتج بقول عمر -رضي الله عنه - في قيام رمضان حيث قال: **(نعمت البدعة هذه)**[2]، وقال الشافعي أيضا: **(المحدثات من الأمور ضربان:**

---

(١) فتح الباري، لابن حجر، ٥/ ٣٥٧، دار الريان.

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٩ \ ١١٣).

ما أحدث يخالف كتابا أو سنة أو أثرا أو إجماعا، فهذه بدعة ضلالة، وما أحدث من الخير لا خلاف لواحد من هذا، فهذه محدثة غير مذمومة، قد قال عمر في قيام رمضان: نعمت البدعة هذه)[١].

وعلى الرغم أيضا من قناعتي بأن الخلاف في هذه المسألة خلاف لفظي، قائمٌ على الخلاف في المصطلحات وليس في المضامين، فقد أثر تأثيرا سلبيا كبيرا في حياة الأمة وتفريق كلمتها!!

وذلك لأن الطرفين متفقان على قبول الأمر الجديد إذا رأوه حسنا، ورفض الأمر الجديد إذا رأوه سيئا، سواء سمى أحدهما الحكم الأول بدعة حسنة، أو مصلحة مرسلة، أو سمى أحدهما الحكم الثاني بدعة سيئة، أو أمرا محرما، أو ممنوعا.

وقديما قال العلماء: **(لا مشاحّةَ في المصطلحات)**[٢].

٢ - الاختلاف العلمي القديم الجديد حول: تعريف الإيمان بالله عز وجل والقول بإمكان زيادته أو نقصانه، ومخالفة بعض العلماء في ذلك... مع أنه أيضا خلاف نظري غير عملي عند المحققين[٣].

---

(١) أخرجه البيهقي في مناقب الشافعي (١ \٤٦٩).

(٢) هذه قاعدة مشهورة ومسلمة لدى العلماء، لم أقف على اسم قائلها، انظر بحث: (قاعدة لا مشاحة في الاصطلاح، دراسة أصولية تطبيقية) لمحمد بن حسين الجيزاني، موقع المسلم، وينظر في هذا الموضوع كتاب: (مفهوم البدعة وأثره في اضطراب الفتاوى المعاصرة، دراسة تأصيلية تطبيقية) للدكتور: عبد الإله العرفج، فيه تفصيل وتحقيق مفيد.

(٣) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٦٢.

٣ - الاختلاف القديم حول مسألة القول (بخلق القرآن)، التي أثارها المعتزلة قديما، وما تفرع عليها من أقوال نسبت لبعض علماء أهل السنة، مما أدى إلى تفريق صف الأمة، واتهام بعضهم بعضا بسببها، حتى وصل الأمر في بعض الأحيان إلى الحكم فيها على مخالفيهم بالضلال والتبديع...!!![1].

٤ - الاختلاف في الموقف من تأويل بعض الآيات والأحاديث الواردة في صفات الله عز وجل، ورفض تأويلها مطلقا عند بعض العلماء، والحرص على تأويلها من قبل كثير منهم، والحكم من بعضهم على بعض في ذلك بالضلال والابتداع، وإخراج بعضهم لبعض من دائرة أهل السنة والجماعة بسببها!!!

مع أنها في الحقيقة: خلاف في مسألة فرعية وليست أصلية، لأنها اختلاف في كيفية إثبات الصفة، لا في أصل إثباتها أو نَفْيها -كما فهم بعضهم- فسموا المأولين بالمعطلين والنافين للصفات!!

مع أن الذين اجتهدوا وأولوا هذه النصوص ما كانوا بحاجة إلى تأويلها لو كانوا نافين لها أو معطلين لها! وما كان تأويلهم لها إلا أثرا من آثار إثباتها، وخوفا من الوقوع في التشبيه والتجسيم - في اجتهادهم - !!

وعلى الرغم من ترجيحنا لعدم التأويل لها، والتمسك بمنهج جمهور السلف الصالح منها، الذين يرون تفسيرها يكون بمجرد

---

(١) انظر كتاب (مسألة خلق القرآن)، لشيخنا الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله.

تلاوتها وقراءتها كما جاءت، مع ضرورة التسليم بمدلولها الظاهر على وجه يليق بجلال الله عَـزَّ وجل، تمشيا مع منهج القرآن الكريم والسنة النبوية في ذلك...فإننا نرى عدم جواز تبادل التضليل والتبديع بين المختلفين فيها، ولزوم معاملتها معاملة الاختلاف في أي مسألة من مسائل الفروع العقدية والفقهية...[1].

٥ - الاختلاف حول حكم التوسل بالأنبياء والصالحين، واشتداد المختلفين فيها في الحكم على بعضهم بعضا، حتى عده بعضهم نوعا من الإشراك بالله عز وجل!!!

مع أن الاختلاف فيها سواءٌ عند من عدها مسألة فقهية أو عقدية، هو خلاف في مسألة فرعية ظنية، وليس في مسألة أصلية قطعية.

وقد أحسن الإمام محمد بن عبد الوهاب-رحمه الله تعالى- حيث قال: (فكون بعض العلماء يرخص بالتوسل بالصالحين، وبعضهم يخصه بالنبي ﷺ وأكثر العلماء ينهى عن ذلك ويكرهه، فهذه مسألة من مسائل الفقه، ولو كان الصواب عندنا قول الجمهور: إنه مكروه ، فلا ننكر على من فعله، ولا إنكار في مسائل الاجتهاد، لكن إنكارنا على من دعا لمخلوق أعظم مما يدعو الله تعالى، ويقصد القبر يتضرع عند ضريح الشيخ عبد القادر أو غيره، يطلب منه

---

(١) انظر كتاب (دراسات في الاختلافات العلمية)، وكتاب (مفهوم أهل السنة والجماعة بين التوسيع والتضييق) للباحث.

تفريج الكربات، وإغاثة اللهفات، وإعطاء الرغبات، فأين هذا ممن يدعو الله مخلصا له الدين، لا يدعو مع الله أحداً، ولكن يقول في دعائه: أسألك بنبيك، أو بالمرسلين، أو بعبادك الصالحين، أو يقصد قبر معروف أو غيره يدعو عنده، لكن لا يدعو إلا الله مخلصا له الدين، فأين هذا مما نحن فيه؟!)[١].

كما أحسن الإمام حسن البنا -رحمه الله تعالى- حين فرق بين أصل الدعاء وكيفيته، حيث قال في مسألة الخلاف في حكم التوسل: (والدعاء إذا قرن بالتوسل إلى الله بأحد من خلقه خلاف فرعي في كيفية الدعاء، وليس من مسائل العقيدة)[٢].

٦ - الاختلاف المعاصر في الحكم على الوسائل الدعوية بأنها (توقيفية) أو (اجتهادية)، ورفض بعض الدعاة والعلماء بناءً على هذا الاختلاف قبول وسائل حديثة لم تعرف سابقا، وتشديدهم في الحكم على المخالفين في ذلك، كما يجري اليوم في حكم التمثيليات المسرحية، والأناشيد الإسلامية، والانتماءات الجماعية...[٣].

إلى غير ذلك من مواقف علمية وعملية كثيرة، جانبت خصيصة

---

(١) انظر القسم الثالث من مؤلفات الشيخ الإمام محمد ابن عبدالوهاب المشتمل على مختصر سيرة الرسول ﷺ، والفتاوى (٦٨\٦٩) طبعة جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، أسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

(٢) انظر الأصل الخامس عشر من الأصول العشرين لحسن البنا.

(٣) انظر كتاب (المدخل إلى علم الدعوة) للباحث، وكتاب (الوسائل الدعوية بين الثبات والتطور) للدكتور: سالم محمد أبو الفتح البيانوني، وكتاب: (قواعد الوسائل) للدكتور: مصطفى مخدوم.

الوسطية ومتطلباتها، وخلفت نزاعا وشقاقا وافتراقا في صفوف الأمة المسلمة التي جعلها الله أمة وسطا! وذلك مثل:

- الخلط بين دائرتي الثوابت والمتغيرات في الدعوة الإسلامية، وافتراق كلمة الدعاة بسببه.

- الخطأ في الموقف من الإنكار في المسائل المختلف فيها، والخروج في ذلك على قاعدة: (لاينكر المختلف فيه) وقاعدة: (الخروج عن الخلاف مطلوب) القاعدتين المتفق عليهما، اللتين سبقت الإحالة عليهما سابقا.

- الخطأ في الموقف من التعددية العلمية والدعوية.

- الخطأ في فهم القاعدة الدعوية المشهورة: (نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه)، وهكذا...[1].

●●●●●

(١) ينظر كتاب (وحدة العمل الإسلامي بين الأمل والواقع) للباحث، وكتاب (التعددية الدعوية) للدكتور معاذ محمد أبو الفتح البيانوني، وكتاب (القواعد الشرعية وأثرها في ترشيد الصحوة الإسلامية) للباحث.

٤- الواجبُ تجاه خصيصة الوسطية:

لا يكفي المسلم أن يفرح بمثل هذه الخصائص التي اختصت بها رسالته، وأن يَتَغَنَّى بها، ويتحدث عنها ويفاخر بها في المجالس والمؤتمرات.. وإنما عليه أن يتمثلها في حياته، ويجسّدها في سلوكه، ويُفَعِّلَها في واقع الحياة.

ولعل من أهم وسائل تفعيلها مايلي:

١- تربية أنفسنا وأجيالنا عليها، ومجاهدة أنفسنا في سبيل تطبيقها في سلوكنا، حتى لا تصبح نظريةًمجردة من النظريات -كما هو واقعها في كثير منا-!!

فلقد كانت بارزة في شخصيته ﷺ، وفي منهج تربيته وتزكيته لأصحابه الكرام رضي الله عنهم، حيث كان حريصاً على تطبيقها في حياتهم، ومهتما بمعالجة الخلل فيها أشد الاهتمام، سواء كان في الجانب العقدي أو العبادي، أو التعاملي أوالخُلُقي.

فكان يرسخ فيهم معاني الإيمان بالغيب، والتسليم بما أخبر الله به ورسوله، حتى لو كان الخبر غريباً مستبعداً عقلاً...

فقد روى البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «**بينما رجل يسوق بقرة له قد حمل عليها، التفتت إليه البقرة فقالت: إني لم أخلق لهذا، ولكني إنما خلقت للحرث. فقال الناس: سبحان الله! تعجبا وفزعا، أبقرة**

تكلم!! فقال رسول الله ﷺ: فإني أومن به وأبو بكر وعمر. قال أبوهريرة: قال رسول الله ﷺ: بينا راع في غنمه، عدا عليه الذئب، فأخذ منها شاة، فطلبه الراعي حتى استنقذها منه، فالتفت إليه الذئب فقال له: من لها يوم السبع، يوم ليس لها راع غيري؟ فقال الناس: سبحان الله! فقال الرسول ﷺ: فإني أومن بذلك أنا وأبو بكر وعمر وفي رواية: أن النبي ﷺ قال: «فإني أومن به أنا وأبو بكر وعمر، وما هما ثَمَّ - غير موجودين في الجلسة -»[1].

كما كان ﷺ يلاحظ سلوك أصحابه وأقوالهم، فإذا رأى فيهم، أو سمع عنهم قولاً يخرج عن الوسطية والتوازن، اهتم بذلك، وبادر إلى نقده وتصحيحه.

فقد ورد عنه ﷺ أنه لما سمع بمقالة الرهط الثلاثة التي سبقت الإشارة إليها في مقدمة هذا البحث، ذهب إليهم، وأنكر عليهم مقولتهم، وصحح لهم نظرتهم، وقال: «**ما بال مقالة بلغتني عنكم؟**».

كما روي عنه: أنه ذهب إلى المسجد وجمع الناس، وخطب فيهم، وقال: «**ما بال أقوام يقولون كذا وكذا..؟**» فعمم الإنكار والتصحيح على المسلمين عامة، ولم يكتف بتوضيح الأمر للثلاثة القائلين ذلك.

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٣٩٠).

كما روي عنه: أنه لما سمع بمقولة عبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - ، قال له: «**ألم أُخْبَر أنك تصوم الدهر، وتقرأ القرآن كل ليلة؟! فقال: بلى يا رسول الله، ولم أُرِد بذلك إلا الخير، قال: «فصم صوم نبي الله داود، فإنه كان أَعْبَدَ الناس، واقرأ القرآن في كل شهر...**»[١].

فإنه بمثل هذا الاهتمام والمتابعة منه ﷺ لأصحابه، رسخ فيهم منهج الوسطية والتوازن في حياتهم، وبنى جيلاً وسَطياً صلباً، حمل هذا الإسلام عنه نقياً صافياً، وسطياً متوازناً لمن بعده من الأجيال... انعكست فيهم خصيصة الوسطية في أبهى حُلَّتِها، وأسما معانيها، فهذا أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - يقول لمن نقل إليه خبر الإسراء والمعراج الغريب العجيب، الخارق للسنن العادية: «**إن كان قال فقد صدق**»[٢].

ذلك لأنه يجزم بأن كلامه ﷺ صدق ووحي، فهو عنده الصادق الذي لا يَكْذِب، والمصدوق الذي لا يُكَذَّب. فلم يسرع ويجزم بأنه كلام رسول الله ﷺ من جهة، لأن الناقل غير موثوق، ولم يكذب الخبر لمجرد غرابته، لأنه منسوبٌ إليه ﷺ، فتحفظ وقال مُسَدَّداً: «**إن كان قال فقد صدق**» فكانت مقالته منهجاً قويماً في تلقي الأخبار - رضي الله عنه - .

---

(١) صحيح مسلم، رقم الحديث (١٩٦٣).

(٢) انظر المستدرك على الصحيحين، للحاكم، حديث رقم (٤٤٠٧).

٢ - مراجعة مناهجنا التربوية القديمة منها والحديثة، التي أفرزت ولا تزال مُخرجات سلبية عديدة في حياة الناس، والكشف عن إيجابياتها وسلبياتها، بُغْيةً الحرص على التمسك بالإيجابيات، والتخلُّص من السلبيات، لنتوصل إلى منهج تربوي شامل متوازن، يُنَمِّي هذه الإيجابيات، ويُنَحِّي تلك السلبيات، سواء أكانت في المنهج التربوي الشامل، أم كانت في جانب مناهج التعليم عامة، والتفقه في الدين خاصة، أم كانت في جانب التربية الأُسْرِيَّة، أم في جانب التربية الدعوية عند الأفراد والجماعات...

فلقد جَرَّبَ المسلمون على مدى تاريخهم مناهج تربوية وتعليمية عديدة، وضعها علماؤهم ومربُّوهم ودعاتهم - جزاهم الله خيراً - في ضوء فهمهم لهذا الإسلام، وبنوا عليها وخَرَّجوا فيها أجيالاً بعد أجيال، برزت فيهم إيجابياتها وسلبياتها، واختلفوا حول بعض تلك المناهج اختلافات كبرى، تفرقت على إثرها صفوفهم، وتَعَصَّبَ بعضهم ضد بعض... فكان لديهم مناهج سَلَفيَّة، وأخرى صوفية، ومناهج مذهبية، وأخرى غير مذهبية، ومناهج تعليمية، وأخرى حركية، ومناهج تقليدية، وأخرى إصلاحية. توارثها الأجيال عن الأجيال، وورَّثوا بذلك الإيجابيات والسلبيات، فتكررت الأخطاء، وتَثَبَّتت بعض الانحرافات، وانتشرت الفُرقة والعصبيات..!!

فمن حق هذه المناهج البشرية علينا أن تُدرس من جديد، ويُتَّفق

على إيجابياتها وسلبياتها بكل حيادية وإنصاف، ومن واجب العلماء والعقلاء، أن يخرجوا بعد دراستهم لها بمنهج جديد شامل ومتوازن، يعمل على تنمية الإيجابيات، وتنحية السلبيات، تجْتَمع عليه كلمتهم، وتوحد حوله جهودهم، مرشدين به هذه الصحوة المباركة، ومنتقلين بها إلى مرحلة اليقظة والتَّبصُّر...

٣ - مراجعة مناهج أسلافنا العملية والحركية التي اختلفوا فيها وورثناها عنهم، سواء في جانب الميل إلى العزلة أو الخلطة مثلاً، أو في جانب القرب من السلاطين أو الابتعاد عنهم، أو في جانب أساليب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. وذلك للوقوف على إيجابياتها وسلبياتها.

فكل هذه المناهج الموروثة، اتخذها علماء صالحون من أسلافنا، ما أرادوا بها إلا الخير، فاختلفت حولها اجتهاداتهم، وأنكر بعضهم على بعض في الأخذ ببعضها، وتبعهم عليها المتأخرون مقلدين لمنهج دون آخر...

فمن حق هذه المناهج أيضاً: أن تدرس دراسة جادة، ويقف الباحثون فيها على إيجابياتها وسلبياتها، ساعين إلى اتخاذ منهج جديد فيها، يجع بين الإيجابيات، ويتلافى تلك السلبيات...

ولا يحق لطرفٍ أن يحتج بها على طرف آخر، فليس عمل بعض السلف بحجة على غيرهم من السلف!! وإنما على العلماء

والحكماء في كل عصر، أن يختاروا منها جميعاً ما يرونه أقرب إلى ما تدل عليه النصوص الشرعية، وينسجم مع القواعد العلمية من جهة، وما يرونه الأصلح والأفضل لصلاح مجتمعاتهم من جهة أخرى ليحققوا بذلك خصيصة الوسطية والتوازن، التي يجب تفعيلها في كل زمان ومكان، على وجه يحقق الإيجابيات ويدفع السلبيات.

فما كان لمنهج التقشف والزهد والبعد عن الطيبات عند عمر ابن الخطاب - رضي الله عنه - وبعض الصحابة مثلاً، أن يفضل دائماً على منهج غيره من كبار الصحابة الذين كانوا من الأغنياء المنفقين تفضيلاً مطلقاً ...

وما كان لمنهج الإمام مالك بن أنس - رحمه الله تعالى - على سبيل المثال، في القرب من السلطان، وقبول هداياه، أن يُفَضَّل مطلقاً على منهج الإمام الثوري - رحمه الله تعالى - في البعد عن السلاطين، وتجنب الصلة بهم، ورفض هداياهم رضي الله عنهم جميعاً، وهكذا...[١].

٤-مراجعة تاريخنا، ونقد تجاربنا السياسية في الحكم والإدارة، ولا سيما بعد عصر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم الذين أمرنا باتباع سنتهم، وذلك للكشف عن السلبيات التي ترتبت على التجارب البشرية في ذلك على مدى العصور والأزمان، والتي

---

(١) انظر كتاب (جهاد الكلمة معالمه وضوابطه) للباحث.

يتحملها أصحابها من الأمويين والعباسين، والعثمانيين وغيرهم، ولا يتحملها إسلامنا نفسه! فكل يؤخذ منه ويرد عليه، إلا صاحب هذا القبر - كما يقول الإمام مالك بن أنس - رحمه الله - وذلك بغية التوصل إلى المنهج الصحيح، والأسلوب الحكيم في الحكم والإدارة، مستَنِيرين بسيرة الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم، ومستفيدين من التجارب البشرية الأخرى قديمها وحديثها، مما لا يتعارض مع نصوص شريعتنا، ولا يصادم مقاصدها الشرعية السامية.

وحسناً ما فعله مؤرخونا للعصور السابقة، فلم يطلقوا على الحكم فيها بعد عهد الخلفاء الراشدين، مصطلح الخلافة الإسلامية، فينسبوا حكم الحكام في تلك العصور إلى الإسلام نفسه، وإنما نسبوه إلى أصحابه، فقالوا مثلاً: الخلافة الأموية، والخلافة العباسية، والخلافة العثمانية، وهكذا... حتى لا يكون عصرٌ من تلك العصور بإيجابياته وسلبياته البشرية حجة على الإسلام والمسلمين على مدى الأزمان ...

٥ - مراجعة مناهجنا الإصلاحية المجتمعية، وأساليبنا في التعامل مع الأزمات المحلية والإقليمية والدولية... ونقد مناهج الحركات القائمة اليوم مما تسمى بجهادية وغيرها بكل جرأة وإنصاف...

حيث اختلفت مواقف الناس منها، بين رافضٍ لها وطاعنٍ فيها

بوجه عام، وبين متقبل لها، مُتَحمسٍ لها، على الرغم مما تفرزه من سلبيات على مستوى الأمة!!

وأحق الناس بهذه المراجعات العقلاء والعلماء من كل حركة، فهم أقدر الناس على تقييم حَرَكتهم، مستفيدين من نقد الآخرين لها في الحركات الأخرى...

ذلك لأن القائم في داخل كل حركة وتجمع، يرى ما لا يرى غيره من خارجها، وكذلك الواقف خارجها، والناقد لها من غير أهلها، يرى ما لا يراه القائم فيها من الداخل...

وحَسَناً ما بادرت إليه بعض القيادات الحركية، ولا سيما مما عرف بالجهادية، من مراجعات علمية جريئة كان لها الأثر الطيب في سلوك كثير من أبنائها...

إلا أنه لا يصح أبداً، أن تُتْرَكَ مثل هذه المراجعات الضرورية، للارتجالية والمبادرات الشخصية، فعلى جميع العقلاء والعلماء والقيادات، أن تطرق باب المراجعات بعَقْل جمعي قائم على العلم بالإسلام، وقدرة على البحث والاستنباط، وبصيرة نافذة بالواقع ومتطلباته في كل عصر ومصر...

٦ - مراجعة مناهجنا في العلاقة مع غيرنا من أصحاب الديانات الأخرى، والمذاهب المتعددة، بغية الوصول إلى المنهج الإسلامي الصحيح المتوازن في التعامل مع المخالفين، دون إفراط أو تَفْرِيط..

فلطالما وقف بعض المسلمين اليوم مواقف مختلفة في ذلك، وصَنَّفوا الناس تَصْنيفات عديدة، مستفيدين من بعض المصطلحات القديمة التي قد تتناسب مع عصر دون آخر!! أو منطلقين في بعض الأحيان من ردود الأفعال تجاه بعض التصرفات التي تصدر من بعض أصحاب تلك الديانات والطوائف والمذاهب..!! ومُستَغلّين أحيانا أخرى من قبل أعدائهم الماكرين بهم، والساعين إلى تفريق صفهم، وتمزيق كلمتهم، وإضعاف قوتهم، وجعل معركتهم بينهم!

فقطعوا أوصال العلاقات بين الناس، وأفسدوا الصِّلات بينهم، مُعَمِّقين الخلافات الموروثة القائمة بينهم، مُوَتِّرين العلاقات بين الأجناس، والأعراق، والمذاهب..!!

فصوروا بذلك أمة الإسلام الداعية، أمة معاديةً للآخرين، بدلاً من أن يصورها أمة هادية رحيمة، حريصة على إسعاد الناس في دنياهم وأخراهم.. فأساؤوا بذلك إلى أمتهم، ، وإلى رسولهم ﷺ المرسل رحمة مهداةً للعالمين بشيراً ونذيراً.

وأنَّى لأمة يصورها أبناؤها بهذه الصورة القبيحة، أن تكون أمة وسطاً - كما أرادها الله سبحانه - شاهدةً على الناس!! إلى غير ذلك من مراجعات ضرورية، يتَطَلَّبُها تَفْعيل خصيصة الوسطية في حياة الأمة، ليعود إليها مَجْدها، وتبرز خيْرِيَّتُها التي أكرمها الله بها، مُستعينين بالله، متوكلين عليه.

●●●●●

٥- الخاتمة

وفي الختام: أحمد الله عز وجل الذي أعانني على إتمام هذا البحث الموجز عن (**الوَسَطِيَّة خَصِيْصَةُ الأُمَّةِ الإِسْلامِيَّة**)، راجيا أن أكون قد تمكنت فيه من تحقيق عدة أمور:

١ - توضيح معنى الوسطية ومفهومها الشرعي والاصطلاحي على وجه يدفع الغموض والضبابية عن مفهومها الذي أصابه ما أصابه من جراء ادعاء كثير من المسلمين لها، مع مخالفتهم لها!!

فقد ادعى الوسطية كثير من الدعاة اليوم، على مختلف مناهجهم وأساليبهم الدعوية، نافين لها عن غيرهم، مما سبب اضطرابا في معناها، واختلافا في مفهومها... وقديما قال الشاعر:[١]

وكُــلٌّ يَــدّعــي وصــلاً بلَـيْلـى

ولـيـلـى لا تــقــرُ لـهــم بــذاك

٢ - تجلية مظاهرها في شريعتنا الإسلامية الغراء، على مختلف جوانبها العقدية والعبادية والتعاملية والخلقية... مدعومة بالاستدلال والتعليل على وجه يبرز جمال هذه الخاصية، ويعبر عن كمالها الذي أهلها لأن تكون خاتمة الرسالات الربانية الخالدة.

٣ - الكشف عن جوانب عديدة من مظاهر مخالفتنا لهذه

---

(١) اختلف في قائله، فمنهم من نسبه لأبي العتاهية، ومنهم من نسبه لمجنون بني عامر.

الخصيصة علميا وعمليا، مما أبعدنا عنها واقعيا، على الرغم من إشادتنا بها، و انتسابنا إليها، وجعلها خصيصة نظرية في حياة كثير منا، يكذبها واقعنا، ويشوه محاسنها سلوكنا!!

٤ - الإشارة الموجزة إلى معالم واجبنا تجاهها، سواء على مستوى البحوث العلمية والكتابات الدعوية، أو على مستوى التطبيق العملي لها في حياتنا لها، وتربية أجيالنا عليها...

سائلا الله عز وجل أن يوفق الإخوة الباحثين عامة، والعاملين في مراكز الوسطية خاصة إلى العمل على تفصيل كثير مما أوجزت الحديث عنه في هذا البحث الموجز، وأن تكون بعض موضوعاته محل مدارسةٍ وتعميق بين العاملين، ليتم الاتفاق عليها، والتعاون على تجسيدها في حياتنا، ومسيرة دعوتنا...

فإن مثل هذه الخصيصة الكبرى تتطلب منا جميعا جهدا كبيرا، وسعيا متواصلا، حتى تصبح واقعا قائما في حياة الأمة يعيد للأمة مكانتها وللدعوة مصداقيتها...فلكم ترك البعد عنها ومجانبتها من سلبيات عديدة في حياة الأفراد والجماعات، وانعكست آثارها في سلوك المدعويين إليها!!. سائلا الله عز وجل أن يأخذ بأيدينا جميعا إلى مافيه رضاه، وأن يوفقنا في مسعانا، وأن يتقبل منا صالح أعمالنا، فهو القائل سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[١].

---

(١) سورة العنكبوت : ٦٩

اللهم هَيِّئ لهذه الأمة، أَمْرَ رُشْد، يُعَزُّ فيه أهل طاعتك، ويُهدى فيه أهل معصيتك، يؤمر فيه بالمعروف، وينهى فيه عن المنكر، فأنت المستعان، وعليك التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم..، والحمد لله رب العالمين...

●●●●●

٦- المراجع

- القرآن الكريم.
- الأدب المفرد.
- الأشباه والنظائر، لابن نجيم.
- الأصول العشرين لحسن البنا.
- الاعتصام، للشاطبي.
- إقامة الحجة على أن الإكثار من التعبد ليس بدعة، للعلامة اللكنوي.
- أهل السنة والجماعة، معالم الانطلاقة الكبرى، لمحمد عبدالهادي المصري.
- بحث «محاسن خصائص الإسلام» لمحمد أبو الفتح البيانوني.
- بحث: (قاعدة لا مشاحة في الاصطلاح، دراسة أصولية تطبيقية)، لمحمد بن حسين الجيزاني، موقع المسلم.
- بدائع الصنائع، للكاساني.
- تسلية أهل المصائب، لأبي عبدالله محمد بن محمد بن محمد المنبجي الحنبلي.
- التعددية الدعوية لمعاذ محمد أبو الفتح البيانوني.
- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق: حكمت بن بشير بن ياسين، الطبعة الأولى، نشر دار ابن الجوزي.
- جهاد الكلمة معالمه وضوابطه، لمحمد أبو الفتح البيانوني.
- حلية الأولياء، لأبي نعيم.

- الحوادث والبدع، لأبي شامة.
- دراسات في الاختلافات العلمية، لمحمد أبو الفتح البيانوني.
- ركائز الإيمان بين العقل والقلب، محمد الغزالي.
- سنن البيهقي.
- سنن الترمذي.
- شرح السنة ،للالكائي.
- شرح العقيدة الطحاوية ،لابن أبي العز الحنفي.
- شرح القواعد الفقهية ،لأحمد الزرقا.
- شرح صحيح مسلم ،للنووي.
- صحيح ابن خزيمة.
- صحيح البخاري.
- صحيح مسلم.
- العبادة: دراسة منهجية شاملة في ضوء الكتاب والسنة، لمحمد أبو الفتح البيانوني.
- فتح الباري، لابن حجر، دار الريان.
- الفقيه والمتفقه، للبغدادي.
- القواعد الشرعية وأثرها في ترشيد الصحوة الإسلامية، لمحمد أبو الفتح البيانوني.
- قواعد الوسائل لمصطفى مخدوم.
- كنز الكمال في سنن الأقوال والأفعال، للمتقي الهندي.
- مجمع الزوائد، للهيثمي.

- المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ ابن سعدي.
- مختصر سيرة الرسول ﷺ، مؤلفات محمد بن عبد الوهاب.
- المدخل إلى علم الدعوة، لمحمد أبو الفتح البيانوني.
- مسألة خلق القرآن، لعبد الفتاح أبو غدة.
- المستدرك على الصحيحين، للحاكم.
- مسند أبي داوود الطيالسي.
- مسند الإمام أحمد.
- مسند البزار.
- المعجمالصغير،للطبراني.
- معجم الطبراني.
- معرفة الصحابة رضي الله عنهم، لأبي نعيم.
- مفهوم البدعة وأثره في اضطراب الفتاوى المعاصرة، دراسة تأصيلية تطبيقية، لعبد الإله العرفج.
- مفهوم أهل السنة والجماعة بين التوسيع والتضييق، لمحمد أبو الفتح البيانوني.
- المقاصد الحسنة، للسخاوي.
- المنثور في القواعد، للزركشي.
- الموافقات للشاطبي.
- وحدة العمل الإسلامي بين الأمل والواقع، لمحمد أبو الفتح البيانوني.
- الوسائل الدعوية بين الثبات والتطور، لسالم محمد أبو الفتح البيانوني.

●●●●●

المؤلف في سطور

الاسم الكامل: د. محمد عبد الله أبو الفتح البيانوني، ابن الشيخ: أحمد عز الدين.

التولد: في مدينة حلب، في بلاد الشام، عام ١٣٥٩هجرية، االموافق ١٩٤٠م.

المؤهلات العلمية

- حصل على الإجازة في الشريعة الإسلامية، من كلية الشريعة بجامعة دمشق، عام / ١٩٦٣/ م.

- نال شهادة الماجستير في تاريخ الفقه وأصوله من كلية الشريعة والقانون،بجامعة الأزهر، عام / ١٩٦٧/ م.

- حصل على شهادة الدكتوراه في أصول الفقه، من كلية الشريعة والقانون، بجامعة الأزهر، عام / ١٩٧١/ م.

الخبرات التدريسية

- عمل مدرساً في (المعهد العلمي بالطائف، في المملكة العربية السعودية) من عام (١٩٦٥- ١٩٧٠م).

- عمل مدرساً في (كلية الشريعة، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، في الرياض) من عام (١٩٧٠ - ١٩٧٧م).

-عمل مدرساً في (المعهد العالي للدعوة الإسلامية،التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بالمدينة المنورة)، من عام (١٩٨٠ - ١٩٩٤م).

-عمل موجها دعويا في (وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، بدولة قطر)، من عام (١٩٩٥- ١٩٩٨م).

-عمل أستاذا في (كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، وكلية الحقوق،في جامعة الكويت) من عام (١٩٩٨م- عام ٢٠٠٧م).
- ثم استقال وعاد إلى (مدينة حلب) متفرغا علمياً ودعوياً.

من آثاره العلمية:

مجموعة من الكتب المطبوعة:

١- كتاب (الإمام سفيان الثوري: حياته العلمية والعملية)، مطبوع.

٢- كتاب (دراسات في الاختلافات العلمية)، مطبوع.

٣- كتاب (العبادة: دراسة منهجية شاملة في ضوء الكتاب والسنة)، مطبوع.

٤- كتاب (الحكم التكليفي في الشريعة الإسلامية)، مطبوع.

٥- كتاب (وحدة العمل الإسلامي بين الأمل والواقع)، مطبوع.

٦- كتاب (المدخل إلى علم الدعوة)، مطبوع.

٧- كتاب (معوقات تطبيق الشريعة الإسلامية)، مطبوع.

٨- كتاب (جهاد الكلمة: معالمه وضوابطه)، مطبوع.

٩- كتاب : (مفهوم أهل السنة والجماعة بين التوسيع والتضيق)، مطبوع.

١٠- كتاب (القواعد الشرعية وأثرها في ترشيد العمل الإسلامي).

١١- كتاب (بصائر دعوية)، مطبوع.

١٢- كتاب (فقه الضرورة: معالمه، وضوابطه)، مطبوع.

١٣- كتاب (فقه الائتلاف والاختلاف)، مطبوع.

١٤- كتاب (دليل الخطيب)، مطبوع.

١٥- كتاب (الوسطية خصيصة الأمة الإسلامية)، مطبوع.

ب- مجموعة من البحوث العلمية والدعوية المحكمة والمنشورة في عدد من المجلات العلمية.

ت- أشرف وناقش أكثر من خمسين رسالة ماجستير ودكتوراه في الجامعات الإسلامية.

ث- له جولات دعوية عديدة في كثير من بلدان العالم.

ج- قدم دورات دعوية عديدة داخل الكويت وخارجها.

ح- له حضور كبير في المؤتمرات والندوات العلمية والدعوية في كثير من بلدان العالم.

خ- له مشاركات واسعة على الشبكة الإلكترونية ومواقع التواصل الاجتماعية، من خلال:

الموقع الإلكتروني: (www.beyanouni.com).

صفحة الفيسبوك: (@drmaab).

حساب التويتر :(mbeyanouni).

مجموعات متعددة على الوتس أب.

عنوان التواصل والمراسلات:

حلب - سورية - هاتف: (٠٠٩٦٣-٩٤٤٩٥٥٤٠).

الكويت - هاتف: (٠٠٩٦٥-٦٦٠١١٨٨٠).

البريد الإلكتروني: (moh@beyanouni.com).

٧- الفهارس

الموضوع	ص
إهداء، وشكر، ودعاء	٨
المقدمة	٩
حقيقة الوسطية ومفهومها	١١
مظاهر الوسطية والتوازن في الشريعة الإسلامية	١٨
من مظاهر الوسطية والتوازن في الجانب العَقَدي	١٨
من مظاهر الوسطية والتوازن في الجانب العبادي	٢٢
من مظاهر والوسطية والتوازن في الجانب التعاملي	٢٧
من مظاهر الوسطية والتوازن في الجانب الخلقي	٣١
من مظاهر الوسطية والتوازن في جانب القواعد الشرعية (الفقهية منها والدعوية)	٣٦
واقعنا من خصيصة الوسطية	٤٥
الواجب تجاه خصيصة الوسطية	٥٢
الخاتمة	٦١
المراجع	٦٤
المؤلف في سطور	٦٨
الفهارس	٧٠

هـذا الكتاب

يتناول مفهوم الوسطية في الإسلام ؛ و يجلّي مظاهرها ؛ و يكشف عن واقعها في حياتنا ؛ و يتحدث عن واجبنا تجاهها ؛ بأسلوب جديد ؛ قلَّ أن تناوله الكاتبون عن الوسطية على كثرتهم ...

المؤلف في سطور



د. محمد عبدالله ابوالفتح البيانوني

المؤهلات العلمية:

حصل على الإجازة في الشريعة

نال شهادة الماجستير في تاريخ الفقه واصوله

حصل على شهادة الدكتوراه في أصول الفقه

الخبرات التدريسية:

عمل مدرساً في المعهد العلمي بالطائف

عمل مدرساً في كلية الشريعة بالرياض

عمل مدرساً في المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالمدينة

عمل موجهاً دعوياً بدولة قطر

عمل أستاذاً في كلية الشريعة بجامعة الكويت

من آثاره العلمية/ ألف أكثر من ١٥ كتاباً في موضوعات مختلفة أشهرها:

كتاب دراسات في الاختلافات العلمية

كتاب القواعد الشرعية وأثرها في ترشيد العمل الإسلامي

كتاب بصائر دعوية

كتاب دليل الخطيب

كتاب المدخل إلى علم الدعوة

أشرف وناقش أكثر من خمسين رسالة ماجستير ودكتوراه في الجامعات الإسلامية

له حضور كبير في المؤتمرات والندوات العلمية والدعوية في كثير من بلدان العالم

حاصل على جائزة أفضل ناشر

ISBN 978-99906-89-79-2

9 789990 689792